فؤاد كحل

ما روته الجثة في زمن القتل

لا تدفنـوه ،
ففـدا سينتصر الزمـان ،
وتلبس الازهار زرقتها واتوان الدماء ..
دعوه مرميا على الهضبات ، يكفي ان نراه مبعثرا فينا
ويكفينا حداد الشعـب ،
ما دُفـن المخيم حينمـا قتلوه
ما دُفنت فلسطين الشهيدة حينمـا شربوا كؤوس
رحيلها وسقوطها

لا تدفنـوه ..
قلوبنا اتسعت لكل جريمة نكراء ،
واتشحت برعب بلادنا ،
لا تسألوا : كيف البلاد ستنتهي ؟!
الشعب صار حكاية الموت المفاجيء
صار منزرعا بأفئدة الاناس الثائرين ،
تفجروا رعبا من الدم المراق
تجمّعوا سيلا من العشق القديم
توحدوا وطنا يطوف على جميع خرائط الحلم البعيد
رأيت وجه مخيم اليرموك مصلوبا
على صدر الكرنتينـا
رأيت جميع اوردة الخلاص تُصاب بالصمت الحزين
أقول : لا تتفرقوا في الموت ،
لا تتوحدوا في الخوف ،
لا تتدافعوا فـي الحزن
ها .. أجد الدماء تلوّن الزمن البخيل ،
وألثم الابعاد ، تأسر في حدود النار
أصرخ كي ارى الجثث المباحة ، فوق صدري
قصـة الغدر ،
انتصر يا كون واغرق أيها الباكي على اشلائنا
اشياءنا ...
كيف الخلاص من الهجوم ؟!
أينجب الوطن المهدم ثورة مفسولة الابعاد والرؤيا ،
وينجب ألف مليون من الاطفال يبتدئون قصتهم
مع الزمن الجديد ..!؟

يا أيهـا الزحف الحقود :
بيني وبين مخيم الفقراء عهد من عناد القصف.
لم تكن القلوب على القلوب!
نهايتي في الدّفن في امس واضحى ،
في البكاء ...
عرفت درب الثائريـن
رأيتهم يتساقطون وحولهم زرع الحصار سلاحه ،
وتفننت كل السلاسل في اقتحام صغيرة تبكي
وطفل تائه قتلوا اباه مشردا بين الخنادق
كيف أهرب من دمار حواجز الموت الكريهة !؟
من سيول لم تكن الا انحسارا حينمـا طافت امام
الفاصب المحتل ،!
ها .. انتصرت بلاد الحزن واتشحت برعب بلادنا ..

***

هيا اتركوه على الثرى وطنا يموت ، ليبـدأ الوطـن
الجميل
وينتهي الوطن القتيل
من كان يدرك سر هذا الحزن في قلبي !؟
من صار يدرك سر هذا العشق في قلبي ؟!
يا رقصة الحلم البخيـل :
لبنيك تجتمع المدافع والجنود ، لقتلهم ..
للصارخين من العذاب من الظلام
توحدي يا ثورة الفقراء ، ها ...
جسدي ابتداء حامل ...
جسدي انتهاء قاتل ...
جسدي ارتحال ، حد فصل ،
رقصة غجريـة الايقاع ..
دمع أخضر الابعاد ..
ها .. وطني مكان للتآكل !...
فارقصي فرحا وحلما ،
أو دمـا .. وتمايلي
انتصرت حدود الحلم عانق خطوي الساري دمي

واستبعدتني عن حدود النار اغنيتي :
سقط المخيم هللوا لي يا رفاق ..
من ها هنا كان المخيم ، هللوا ..
كانت ملايين الصواريخ ، القذائف والسلاح القاتل
الوحشـــي ،
والقوات كانت ها هنا حول المخيـــم
هللوا .. يا أيها الاحباب
يا وطنا يهرّب في دمي
سقط المخيم صار في الافاق حول قذيفة
لحنا ، نضالا ، صرخـــة .،
عارا بوجه القادة الجبناء
صار حكاية الغدر الجماعي المصدّر من بلاد الموت
يا أحباب لم يسقط هنا الانسـان
لم يسقط هنا الانسان

***

ولِدَ المخيم من دم وملاجيء ومئات اطفال ،
من العطش الحزين،
ولِدَ المخيم من خنادق قاومت وتفجرت حقدا ورعبا
وانتهت رمزا لكل شعوب هذي الارض
حين يدوسها التتر المغوليـــون
هيا لـــم يعد وطني سوى منفى
وتسبقني الخطى للنّفي
يا جسدا على الطرقات مرميـــا
سترتحل الحواجز حينما يتفجر الانسان في دمنا
وترتعش الجبال
تراكمت أحزاننا كونا ، بلادا
اشرقت كل الشعارات الجميلة
اشهرت كل السكاكين ، المعاول ،
فوهات النار ، نبض الراكعين امام سوط القوة الرعناء
أبعاد الرؤى وتناقلتني ..
لا تدفنوه ، وأبعدوا كفنا رديئا ،
فالدماء زكيـــة صارت ،
وفودا من قلوب طفلة ، تنمو على بردى
على بيروت
صارت حقنة للخوف ترعبهم ، وترعبهم وترعبهم ..
فيرتعدون يرتعدون يرتعدون ..
تزدهر البلاد وتزدهي حلما ،
وتلبس ثوبها العرسي ، تعطي للذي هجر الرصاص
دمـــاءه
من ها هنا شاهدت سرب مقاومين
وها هنا شاهدت سرب مقاتلين
اني تعريت ، البلاد ــ هنا ــ تهاجر في دمي
او مـــن دمي
ولبست جلد بلادي الثكلـى
حلمت بموطني ... وحلمت ...
كيف يصير هـــذا الوقت غدرا واغتيال
قتلوك خافوا ان تصير رؤى فتنحسر الجبال
قتلوك خافوا ان تظل مع العناد الاخضر الوطني
جبارا ، كمال..
قتلوك لم تدرك مآثمهم بأنك صرت رمزا للقتال
ولبست فيك بدايتي ، ولبستني ..
ومشى بنا الزمن المحال
ها .. صرت لون النار والاعصار
صرت دمـــا وشوارعا ومخيمات
صرت طفـــلا في حصار
هل تذكر الحرب الدنيئة والدخول الغول والقوات
والقتلـــى
اتذكر دفقهم من كل صـــوب،
حينما قتلوك حيا فارتحلت من الحدود الى الحدود
تلمّ جرحك صائحا فيهم :
قفوا عن نزفي العربي في الوطن الفلسطيني
لم يهن الصراخ ، فحاصروك ....
لا تدفنـــوه
مساحة الجسد القتيل غدت تطوف على الخرائط
مرة قلنا له انتصر الحداد
فهاجرت احلامنا ، وغدا ــ بنا ــ الشـــوق المدمّى
دمعة ثكلى
فقـــال : أنـــا البلاد .
أنا زفرة المدن الحزينة
ان تروني تدركوا سر انبعاث الضوء
سر القادميـــن من الخيام الى الخيام
من القديم الى الجديد
من الصحاري وهي ترمي ثوبها الرملي
من وطن اشادوا حزنهم فيه وساقوني غريب الدار
للنفـــي المخبـــأ ...
كان بُعدُ النفي أبعد من مشانقهم
وكانت فيهم أحقاد ترسل حقدها ..
لا تدفنـــوه ، يفرّ من اجسادنا
وتضيق كل مقابر الدنيا عليه
ويصير هذا الوطن الملعون وكرا للثعالب والذئاب
هنا انتحار العشق فلنبدأ حدود النار بالاعصار

قال : أنا السحاب ،
فعانقوا برقي وعاصفة الدماء
يا ايها الوطن المشرد ، يا التحام النحر بالحبل الدنيء
الام يرتحل الهـواء
الام يندحر الرجـاء
الام ابكـي ، انثني ، اغتال رغمـا
لا تثور على الشفاه قصائد الصلب المضاء
قتلوه يقرأ أو يقاتل او يعاند خطة الموت المعبأ
باغتيال الشعب والوطن الحزين
في المـوت كان مخيمـا يبكي
وكان قضية تلقي على كل المنى اوزارهـا
فننوء عن حمل المنية ننتهي فوق السفوح
/ مخيما يتلو مخيم /
قتلوه ما عرفوا حدود القتل
ما عرفوا الاصابع كيف تصبح راية او اتهام
او كيف تصبح روحـه الثكلى
هجومـا واقتحام
ففـدا ستنتصر القلوب
دماؤنا فوق الشوارع
جرحنا عبر الموانـيء
دربنا بين القذائف
روحنـا حول الخيام !
من كان منكم عاشقا فلينفجر في كل وقت
كي تصير ثيابنا برقا
وكل سلاحنا ووجودنا ،دفقايرد القادمين من العواصم
كي نجـرّد من حناجرنـا
سواعدنا ، فنستجدي على ابوابهم
من قال انك تنتهي يا موطني
يا موطن الذبح القـبيح
فهللوا لي أيها الفقراء
ما اندحر المخيم ، والازقة لم تزل غضبي
وكل جراح اطفال الضياع سيكبرون
ويحملون سلاحهم .
كان الحنين الموطني بلادنا
والآن ما زال الحنين الموطني بلادنا
قتلوه يصرخ فيهم : قلبي هو الاسلاك
هيا تعالوا جهـزوا قواتكم ،
جسدي عظيم فاقصفوه وحاصروه
غدا ستنفجر الديار ،
ما بيـن نبضي يولد الفقراء
ينتصر انبعاث النبت ، تزدهر الطيور على الشرايين
الندية
والغصـون علـى الغصـون ...
فكيف يقتحم السؤال ، وكيف يقتحم الجواب ؟!
سينتهي وطن يشردني ، اشرده
يبعثرني ، ابعثره .. فيرتحل السؤال مع الجواب!..
خلوه مرميـا يهاجمكـم
خلوه مجهولا يلاحقكم
خلوه ...
هذا موطن لم يعرف الدفن الجميل
وهذه الحارات للفقراء لم تعرف سوى الغدر اللعين
فالشعب لا يدفـن ..
والشعب لا يُسجن ..
والشعب حين تثور ريح الفقر والفقراء يقتحم القصور
قد تلبس الابعاد اكفانـا
وقد تتكشف الدكناء ،
لكن انفجار النجم والافراح آت
أيهـا البطل المسجى بالدماء ،
يا كتلة الفقراء في وطن العروبة
من حقول النفط حتى تيهنا البرّي
من جسد المخيم والقضية والاناس الجائعين
وقتلنـا ...
حتى القصور وسلطة العرب الشعوبيين :
سقط المخيم في بلاد العرب والفقراء ،
والوطن القتيل مشى مع البطل القتيل
لا تدفنـوه ...
فهم الذيـن بقتلهم لم يدركوه .

دمشق